

ولاية الله ، والطريق إليها

صفحاته (٥٥٠)

دراسة وتحقيق لكتاب :

قطر الولي ، على حديث الولي ، للإمام الشوكاني

بقلم : إبراهيم إبراهيم هلال

تقديم : ابن الخطيب

ما أشدّ حاجة الأمة في كل زمان ومكان إلى هذه الولاية الإلهية ،
وإلى الدلالة عليها ، ومعرفة الطريق الموصلة إليها . والناظر في آي القرآن
الكريم بتدبر وإمعان ، يراها مجتمعة في ثلاث آيات كريمة ، وهي قوله
سبحانه : « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ، الذين
آمنوا وكانوا يتقون ، لهم البشراى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، لا تبدل
لكلمات الله ، ذلك هو الفوز العظيم ، (١) . فقد وصفهم تعالى بالإيمان والعمل ،
ونفى عنهم الخوف والحزن ، وبشرهم بالسيادة في الدنيا ، والسعادة في الآخرة .

(١) سورة يونس / ٦٢ - ٦٤ .

والولاية الإلهية كما لا يخفى هي زهد في الدنيا ، وعَرَاضُها الأدنى ، وإيثار لمرضاة الله عليها ، وعلى ذلك مضى السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان فصاروا بهدي الله ، أمة دين وعرفان ، ومدنية وعمران ، وعزة وثروة وقوة ، وعالوم وفنون وصناعات .

وهذا الكتاب (١) : (ولاية الله والطريق إليها) للإمام الشوكاني الشهير ، ولحققه الكاتب الكبير إبراهيم إبراهيم هلال ، هو شرح لحديث الولي ، ونصّه : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : قال الله تعالى : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه ، إلى آخر هذا الحديث الشريف ، ومبنى الكتاب عليه . وفي طليعته تقديم للكتاب بقلم العلامة الجليل (ابن الخطيب) صاحب أوضح التفاسير . ثم مقدمة المؤلف الإمام الشوكاني ، ومقدمة الأستاذ الهلال ، يسنّ فيها أن دراسته لهذا الكتاب تشتمل على ثلاث فقرات : الأولى تعريف بالإمام الشوكاني ، والثانية : الدراسة على هذا الكتاب ، وفيها بيان مدى موافقة ما جاء فيه القرآن الكريم ، والسنة الصحيحة ، والثالثة : تحقيق الكتاب : (قطر الولي ، على حديث الولي) .

قال الأستاذ (الهلال) المحقق : وهذا الكتاب يعتبر في عمومهِ ردّاً على آراء الباطنية ... في الولاية والأولياء ، وتبييناً للصورة الحقيقية للولي كما يريد الله سبحانه ، حسبما ورد في القرآن الكريم ، وفي السنة الصحيحة . هذا ومن أراد استيفاء المباحث ، فعليه بمراجعة الفهارس في آخر الكتاب ، ففي أولها محتويات الكتاب ، فالإهداء والتقديم والمقدمة ، ثم عقد فصولاً خمسة : (١) من هو الولي (٢) شخصيات الأولياء وأصنافهم (٣) الطريق إلى ولاية الله (٤) الإنسان بين مظاهر حب الله (٥) أفضل الأولياء .

(١) تفضل بإهدائه إلى المجمع فضيلة الأستاذ الشهير الشيخ محمد نصيف حفظه الله .

وهذه الفصول الخمسة مقدمات تبلغ مائتي صفحة ، وهي دراسة للمحقق (الهلal) وفيها بيان أن الصحابة الكرام ومن تبعهم بإحسان ، هم الذين تصدق عليهم هذه الولاية الإلهية ، وهي علم وعمل واعتقاد وجهاد ، ثم مرى في الأمة اسم الولاية على التصوف وهو الانعزال عن الناس ، مع صفاء القلب والسريرة (صافى وصوفى حتى مُسمّى الصوفى) . ثم بعد عن الأصل ، وصار علماً اصطلاحياً ، تذكرفيه المقابلات بين الحق والخلق ، والوجود والشهود ، والبقاء والفناء) ، وشواهد ذلك كله موجودة ومعروفة في الفتوحات وفصوص الحِكم للشيخ ابن عربي ، وغيرها ككتب الشيخ الجبلي ، ثم ضعف وانقلب عند بعض العامة إلى شعبية وشعوذة ، ولكن مؤلف الكتاب ومحققه يردان أبلغ رد على الفيرق المنحرفة عن ولاية الله تعالى الظاهرة في الكتاب والسنة ، وما كان عليه السلف الصالح من هذه الأمة ، ويدعون الدعوة الصادقة إلى إعادة الولاية إلى ما كانت عليه في الصدر الأول للإسلام . وبعد ذلك كله ذكر المحقق النسخ التي رجع إليها في التحقيق (ص ٢٠٣ - ٢٠٧) وصوراً منها (ص : ٢٠٩ وما بعدها) ، وبدأ من (ص : ٢١٧) تقديم المؤلف لكتابه ، وبعده فصوله الأربعة : (١) من هو الولي . (٢) الطريق إلى ولاية الله . (٣) أثر محبة الله في حياة الولي . (٤) قيمة هذا الحديث في السلوك والأخلاق .

وتحت هذه الفصول حقائق مقنعة ، ومباحث ممتعة ، وأبواب كثيرة ، وفوائدها غزيرة ، وتجد في صفحاتها تراجم للأعلام التي يذكرها المؤلف ، بقلم المحقق ، وما تختلف فيه النسخ الخطية من الكلمات ، إلى آخر الكتاب (ص ٥٢٤) . ثم أهم المراجع العربية (إلى ص ٥٣٤) ويشار فيها إلى الطبعات (وفي صفحة ٤٣٥) المراجع الإفرنجية . ثم محتويات الكتاب كله ، ففصول المؤلف الأربعة (إلى ص ٥٤٣) وتُختم بفهرس أعلام الأشخاص التي وردت في الأصل ، وبالنص المحقق ، برقم صفحاتها منها تعدد اسم صاحبها ، مرتبة على حروف الهجاء ، وآخرها : (يعقوب) وفي الصفحة

الأخيرة تصويب الخطأ ، وفاته كلمات نصوبها مع رقم صفحاتها ، وهي :

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
١٤٩	زهدًا	ل	عليها
١٥٣	الكريم	ع	هذه
١٥٧	منكرًا	٢٢	النضيد
١٥٩	أو والدان	٢٥	ليس متأثرًا
١٧٧	واحد	٦٨	نيكولسون
١٧٨	واحد	٦٨	والتشيع
١٨٣	نفسا	٧٠	إمام
١٩٢	وداخلي	٩٢	مشكاة
٢١٧	عادي	١٠٦	وبنيه
٢٨٤	المؤذن	١١٠	طبقة
٣٣٣	الافتا	١١٢	عادي
٣٣٤	لعشاء	١٣٤	الولي
٣٣٤	الظلمة	١٣٤	شرطا
٣٣٤	تسلّت	١٣٦	عن الرياء
٣٧٠	ما عملت		

م . ب .

